المحاضرة 4

نظرية إعادة الإنتاج الثقافي:

1/ مخل حول إعادة الإنتاج:

يكشف التراث الحديث لسوسيولوجيا التربية ولاسيما المرتبطة بالماركسية المحدثة أن نظرية إعادة الإنتاج سعت لتحليل عملية العلاقة بين المدرسة والنظام التعليمي والتربوي، والعمل وأنماط الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

اتخذت مضمون الفكر الماركسي التقليدي و تطوراته في ضوء التغيرات الحديثة، إذ اتخذت الماركسية المحدثة مدخلا متميزًا لها، حيث أعطت لنفسها طابعا تخصصي عن طريق تبنيها وحدات تحليلية صغرى ومتوسطة عكس الماركسية المحدثة، كما جاءت أفكارها ذات طابع نظري و إمبريقي ميداني، كما عبرت عن اهتمامات المؤسسة الاقتصادية والاجتماعية و السياسية أو ثقافية عامة

هناك ملاحظة هامة جدا، أن تحليلات أصحاب نظرية إعادة الإنتاج بمختلف تخصصاتها السابقة يمكن أن تندرج اغلبها ضمن الماركسية المحدثة، أو الراديكالية النقدية أو اتجاهات نظرية عالمية.

تتميز عملية إعادة الإنتاج بالثبات والاستقرار كون أن النظام يعيد نفسه بنفسه، هذه الميزة لا تقتصر على مجال دون آخر، إنما يمكن نقلها إلى مجالات أخرى من حياة الأفراد، أين يبقى الإنتاج ثابتا بينما علاقات الإنتاج تتكرر بصورة حتمية ضرورية لا مفر منها.

يشير مصطلح إعادة الإنتاج إلى: "مجموعة إجراءات تاريخية هي في الوقت نفسه مستقلة ومتقاطعة بحيث تندمج بواسطتها داخل السياقات الأكثر تنوعا، لدى العنصر البشري، وفي كل سياقات المجتمع عمومًا، على حد قول " **بورديو**" : إعادة الإنتاج هذه ليست نتائج فعل البنايات ذاتها، كما لو أنها تحمل بداخلها مبدأ خلودها الخاص، بل هي نتائج مواقع واستراتيجيات الفاعلين الذين يشغلونها.

بذلك تكون إعادة الإنتاج هي: رهان استراتيجيات كل الأنظمة التي يكون مع البنيات الموضوعية المتاحة، هذه الاستراتيجيات تشكل الأسرة مكمنها بامتياز من خلال استعدادات الهابيتوس.

هي اذن نظرية عامة للأجزاء الشمولي لإعادة إنتاج التراتيب الاجتماعية، إذ لا ينبغي فقد أن تشير لصورة نسق إعادة الإنتاج، لكن ينبغي أيضا تأسيس ذلك المتعلق بنسق إستراتيجية إعادة الإنتاج في مختلف أبعاده (السيكولوجية، المعرفية والتربوية...).

إن إعادة الإنتاج كتصور يحمل معنى مفاده أن المجتمع يسعى إلى إعادة الإنتاج، من خلال إعادة إنتاج نفس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. وانطلاقا مما سبق نستنتج أن إعادة الإنتاج هي إستراتيجية يمكن من خلالها أن يحافظ على علاقات القوة بداخله وأن يبين حدوده ويحافظ عليها بل ويسعى إلى استمراريتها

من أكثر المفكرين السوسيولوجين الذين تبن هذا الاتجاه، ووظفوه في مساقات تربوية تعليمية، لويس لتوسير، والسوسيولوجي الفرنسي بياربورديو. حيث نتعرض لأهم أفكارهما حول هذا المدخل والتي كان لها اهتمامات تربوية.

المحاضرة 5

2/ لويس التوسير واعادة الانتاج الثقافي:

تعد تحليلات الفيلسوف الفرنسي **التوسير** إحدى التحليلات الهامة في إطار علم اجتماع التربية الحديث، والتي تنسب للمنظور الماركسي المحدث. حيث اعتبرت النظام التربوي جزء من البناءات الفوقوية التي تحدد معالجتها حسب نوعية البناءات التحتية، تلك البناءات التي تعكس علاقات الإنتاج وتخدم مصالح الطبقة الرأسمالية الحاكمة، حيث تعمل هذه الطبقة على إعادة إنتاج قوى العمل، كونها تدرك وتؤمن بمبدأ أهمية إعداد وإنتاج أجيال الطبقات العاملة الجديدة من أجل كسب واستمرار المكاسب المادية التي تعتمد على الرأسمالية في البقاء.

ركز **التوسير** ضمن تصوراته حول إعادة الإنتاج على عمليتين أساسيتين هما:

- **أولا**: إعادة إنتاج المهارات الضرورية للحصول على عمالة فعالة.
- **ثانيا**: العمل على إعادة إنتاج سوسيولوجية الطبقية الحاكمة والعمل على تنشئة العمال للاعتقاد بهذه الايدولوجيا وتصورتها العامة.

تعمل هاتين العمليتين على إعادة إنتاج القوة للفئة الفعالة، والتي تكون خاضعة تمامًا للإيديولوجية الرأسمالية، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق التركيز على دور التعليم والتربية في المجتمع الرأسمالي، من خلال إعادة إنتاج القوى العاملة المناسبة.

يؤمن **التوسير** بأن أي طبقة اجتماعية لا يمكن أن تستمر في موقع القوة والبقاء والسيطرة عبر الزمن باستخدام القوة، ولكن يستمر وجودها وسيطرتها عن طريق السيطرة الإيديولوجية للطبقة الحاكمة.

حيث تؤمن الطبقة الضعيفة العمالية بطبيعة وضعها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وتعتقد باستحالة تغيره، ولا يمكن ملكية وسائل التحدي ومقاومة الطبقات الحاكمة، حيث تعمل هذه الأخيرة على فرض قوانين وميكنزمات تجعل الطبقة العمالية تعترف بوجودها، بل وتساعدها في نقل إيديولوجيتها للأجيال اللاحقة، وذلك عن طريق سيطرة الطبقة الحاكمة (الرأسمالية على النظام العلمي والتربوي في المجتمع الرأسمالي).

من هذا المنطلق أكد **التوسير** على ربط النظام التربوي في المجتمع الرأسمالي واعتبره أحد أجهزة الدراسة الإيديولوجية والعاملة على استمرارية وجود الوضع الطبقي وحتمية الطبقة الحاكمة. وفي نفس الوقت رأى أن دور النظام التعليمي لا يقتصر على إعادة إنتاج قوة العمل، وتنشئة الأجيال من الطبقة العاملة على العمل والإنتاج، ولكن جعل أفراد وأجيال هذه الطبقة تؤمن تماما بالطابع الشرعي لنظام الرأسمالي ذاته.

من خلال إنتاج آفاق من الاتجاهات والمعتقدات والسلوك المطلوب عن طريق التربية والتعليم ونظام تقييم العمل الموجود، وأعطى مثال بالمدرس الذي سعى إلى تلقين طلاب سبل الخضوع والاعتراف بشرعية وحقوق الطبقة الحاكمة أو المسيطرة في الإنتاج وإعادة الإنتاج والتطور (اتسمت أفكاره بالفلسفية أكثر من الواقعية).

تكمن أهمية تصورات **التوسير** التي تبنت الإيديولوجية الماركسية، وعبرت عن كيفية لعب دور المؤسسات العامة وأجهزة الدولة في إعادة إنتاج أيديولوجية فكرية وثقافية معينة، حين ركز هذا الأخير على عملية التعليم وإعادة إنتاج قوة العمل اللازمة من أجل استمرارية وبقاء الطبقة الرأسمالية.

كما وضحت تصوراته أهمية المؤسسات التعليمية في إخراج الكوادر المهنية (المهارات) من أجل تلقين سبلا الاستغلال والسيطرة.

المحاضرة 6

3/ نظرية الرأسمال الثقافي لبيار بورديو:

عُرف **بورديو** بأفكاره النقدية التحليلية التي تندرج ضمن تصورات الماركسية المحدثة، حيث عبر على أفكاره ضمن مجموعة من المؤلفات والدراسات النظرية والميدانية في مركز علم اجتماع أوروبي بباريس، إذ جعل من التحليل الذاتي مشروعًا ابستومولوجيا يقضي بصياغة أولويات معرفية لإنتاج الخطاب السوسيولوجي، أين تخصصت أبحاثه في قضايا وإشكاليات سوسيولوجيا التربية من خلال دراساته النقدية للنظام التربوي الفرنسي، ودوره الإيديولوجي في إعادة الإنتاج الثقافي في المجتمع من أجل الطبقات المسيطرة.

انطلق من مرجعية نظرية وسوسيولوجية كانت قواعد أساسية في بناء مشروعيه البحثي وتصوراته النظرية ، حيث ميزت هذه المنطلقات نظريته الخاصة حول إعادة الإنتاج في والرأسمال الثقافي وعلاقتهما بنظام التربوي والتعليمي.

1. جعل من التحليل الذاتي ممارسة معرفية مستمرة وذاتية.
2. جعل من التحليل الذاتي مشروعًا ابستيمولوجيا وسوسيولوجيا يقضي بصيغة أولويات معرفية، في إنتاج الخطاب السوسيولوجي ثم الإنتاج المعرفي، اذ يبحث في السوسيولوجية النقدية.
3. دعى إلى حفظ المعرفة وبالتالي استقلاليتها.
4. ربط بين البحث والمعرفة النظرية، حيث يرى أن **دور النظرية بدون بحث إمبريقي خواء والبحث الإمبريقي بدون نظرية هراء.**

كان تصوره الرئيسي للنظام التربوي في إعادة الإنتاج الثقافي من أجل الطبقات المسيطرة والتي تكتسب شرعية وجودها من خلال هذا النوع من إعادة الإنتاج. وذلك ضمن تشخيصه لمجموعة من التصورات أهمها:

- شخص **بورديو** تصوره انطلاقا من تشخيصه لطبيعة النظام التربوي في الحقل المدرسي. حيث يشكل مفهوم إعادة الإنتاج عنوانا فكريا ومنهجيا لنظريته في مجال الفكر الاجتماعي،ووفق تصوره تعمل المدرسة والمؤسسات التربوية على إعادة إنتاج المجتمع، وفق صورة التباين الطبقي الكامن فيه انغلاق النسق حول نفسه يعيد إنتاج نفسه إبقاء لحيوية وحفاظًا على بقائه الرسمي.
- يرى بورديو أن النظام التعليمي المؤسسي لنسق التنميط الروتيني، بقدر ما يتنظم نشاطه التربوي ليؤدي وظيفة معاودة الإنتاج الثقافي ضمن ما تتطلبه الطبقات الحاكمة من النظام التعليمي، والذي يتمثل أساسا في معاودة إنتاج الثقافة الشرعية، وإنتاج فاعلين قادرين على استخدامها شرعيا(

مدرسين، أساتذة، إداريين، محامين، أدباء...) وبالتالي تخضع الممارسات التربوية لسنة التنميط الروتيني. بمعنى أن النظام التعليمي يشرعن التعسف الثقافي لطبقة المسيطرة ، حيث أن النظام التربوي يتضمن ميلاد معاودة إنتاج نفسه بصورة ذاتية، كما يعيد إنتاج التغيرات التي تطرأ على نموذج التعسف الثقافي أي مكان لفرض التعسف الثقافي، وإنتاج التدابير الثقافية اللامتكافئة، وبالتالي إعادة إنتاج التنظيم الاجتماعي القائم، ذلك أن كل فعل تربوي هو نوع من تهميش والعنف الرمزي على اعتبار الفرض التعسفي للثقافة.

- وفق هذا التصور اعتبر **بورديو** أن الحقل المدرسي في النظام التربوي نسق ذاتي لديه القدرة على إنتاج ممارسات بيداغوجية تولد في كل مرة ممارسات بيداغوجية أخرى. تتراكم داخل الحقل لتصبح جزء من بنيته الأساسية تصبح لها القدرة على وضع التأثيرات الخارجية (أي تدرس وتفحص الشروط الاجتماعية لإمكانية ممارسة السلطة).

وهنا يعتبر **بورديو** المدرسة مصدر للسلطة الرمزية وسيلة في يد الطبقات الحاكمة لإعادة الإنتاج نفس الظروف والشروط الاجتماعية التي تحافظ على النظام.

يرى بيربورديو أن الأفراد المجتمعين الذين يوجدون في المدرسة هم نتاج التنشئة الإدماجية والمعيارية، ونتاج الوضعيات الاجتماعية الموجودة بالقوة الجبرية الملزمة وهم أيضا نتاج إعادة إنتاج وضعيات التوريث بغية اكتساب الهوية المجتمعية.

- ينطق بوريو وباسرون من فكرة أساسية هنا هي أن المدرسة تعمل وفق تقسيم المجتمع إلى طبقات وهي بذلك تكرس إعادة الإنتاج والمحافظة على الوضع القائم الذي أنتجها. ذلك أن الأطفال ومنذ بداية قبول ولوجهم المدرسة غير متساوين أمام النظام التربوي والثقافي، أي غير متساوين في الرأسمالي الثقافي (أي امتلاك الممارسات اللغوية الملائمة لتسهيل التواصل التربوي لكي تحافظ المدرسة على وظيفتها -إعادة الإنتاج- فهي تفرض معيارًا ثقافيا ولغويا معينًا؛ على أساس هذا قسم **بورديو** الرأسمال المحدد لنمط الطبقات والثقافة عند الفرد والمجتمع الي:
  - الرأسمال الاقتصادي.
  - الرأسمال الثقافي.
  - الرأسمال الاجتماعي.
  - الرأسمال الرمزي.

ولقد أضاف بورديو في كتابه أسئلة السوسيولوجيا.

الرأسمال اللغوي:حيث بهذا الرأسمال تستطيع جماعة ما أن تفرض نفسها ووجودها وبالتالي تستفيد من السلطة ومن امتيازات مادية وثقافية رمزية معينة. (مثال الوطن العربي واللغات الأجنبية).

تكلم بورديو أيضا من خلال هيمنة السلطة على أهمية السلطة الرمزية في إعادة إنتاج نفس النمط الثقافي في المجتمع، حيث يرى أنها تأخذ مجالها الحيوي في مجال المؤسسات التربوية، ولاسيما في المحيط المدرسي، والذي يتحول إلى ساحة للصراع الرمزي بين مختلف القوى الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع. فالرمزية السائدة في المدرسة تشكل نوعًا من السلطة الاجتماعي التي تحاول أن تشكل شكل الايدولوجيا السائدة.

بتعددة أشكال ونماذج السلطة الرمزية في الحقل المدرسي تظهر أحد نتائج إعادة إنتاج داخل هذا النسق وهو **العنف الرمزي**، أين يأخذ وحسب **بورديو** أكثر صورة وضوحًا في صراع النماذج اللغوية في

المدرسة (النظام)، حيث تشكل المدرسة ساحة للصراع اللغوي الرمزي بين نماذج لغوية طبقية متعددة، فاللغة تشكل نظامًا رمزيا للدلالات والتصورات الرمزية، حيث تبني المدرسة نمط لغويا تفرضه الطبقة المسيطرة على باقي الطبقات الأخرى.

قسم بوريو الطبقات على أساس الرأسمال الثقافي إلى:

1. الرأسمال المدرسي أو الثقافي.
2. الرأسمال الموروث المتناقل عبر الأسر.

اذ عرف"الرأسمال الثقافي" على أنه: "مجموع المعارف والكفاءات والمهارات من مختلف الأصناف النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة واستثماره في حقل اجتماعي معين على أساس قيمة مضافة مادية أو رمزية أو اجتماعية".

وهناك ثلاث عوامل تتحكم في سلوك الفاعلين الاجتماعيين عند انتقال العلاقات الاجتماعية عبر الرأسمال.

- الرأسمال الاجتماعي وهو المصدر للعلاقات الاجتماعية.
- الرأسمال الثقافي أي الوسط الثقافي للإنسان.
- الرأسمال الرمزي والذي يعزز علاقته ومكانة المجتمع.

على اعتبار الرأسمال الاجتماعي كما حدده بورديو هو: "هو مجموع الثروات الفعلية أو المفروضة التي يتوفر عليها فرد ما أو جماعة معينة بسبب امتلاكه لشبكة مستمرة من العلاقات ومن المعارف والاعترافات المتبادلة والمؤسسة."

ومن هذا المنطلق يحدد **بورديو** النسق المدرسي اعتمادا على موقعه في النسق الاجتماعي، بأن يدين في حقيقة الأمر بمهاراته الخصوصية في تنكير ما يدلي به من مساهمة في إعادة إنتاج توزيع الرأس المال الثقافي بين الطبقات، إلى مهامه الخصوصية التي تجعل عمله مستقلا، وتسعى في الحصول على الاعتراف بشرعيته واثبات حياديته من خلال المحافظة على النظام القائم، وهو الأمر الذي لم يستطع النجاح فيه، خاصة وفق السيطرة الإيديولوجية للطبقات البرجوازية الحاكمة، والتي تقضي بإضفاء شرعية النظام التربوي القائم في ظل أدائه لوظيفتي الإدماج الفكري والأخلاقي مع وظيفة المحافظة على بنية العلاقات الطبقية المميزة لهذا المجتمع.